

قستان قصيرتان

◆ أفين محمد عبدالرحمن / دهوك

ولاء

عادت "ولاء" من المدرسة فرحة. كان يومها الأول بعد أن قضت عطلتها الصيفية في شمال كندا. جاءت راكضة وحضنت أباهما بكلتا يديها الناعمتين.. "أبتِ أبتِ.. ها قد عدت من المدرسة ولقد شرح لنا المعلم اليوم عن الوطنية.."

نطق "أمين" الذي كان شيخاً طاعنا في السن: "قح قح قح.. أخ.. احم احم.. على مهلك يا ابنتي على مهلك لا تحضنيني بقوة هكذا. تعلمين إنني مريض لقد سببت لي السعال. احم.. احم..". وقد ابتلع كمية كبيرة من البلغم الذي سببه تدخين السجائر.. "أنا سعيد لأنك فرحة وقد حضرت اليوم الأول في المدرسة، وماذا قال لكم المعلم عن الوطنية؟"

قالت ولاء: "قال: (على كل شخص أن يخدم وطنه بما لديه من إمكانيات لأن ما نعيشه الآن ليس وليد الحاضر ولكنه نتيجة خدمة مستمرة من السابق والى الآن). وسأل كل واحد منا عن ماذا نعمل الآن لخدمة وطننا فقال تلميذ (أنا أساعد والدي في العطلة في الزراعة لأنها تنتج الحبوب والخضراوات وبذلك أخدم وطني في توفير الغذاء للناس).. وقالت تلميذة (وأنا أساعد أمي في تحضير الغذاء وغسل الصحون وبذلك أساعدها على توفير الغذاء لعائلتي). وعندما جاعني الدور لم أعد اعلم ما أقول فقلت بسرعة (أنا اعتني بأخي المقعد فهو مريض.. هل تعتقد يا أستاذ بأن هذا أيضا يساهم في خدمة الوطن؟) فأجابني الأستاذ (طبعاً يا ابنتي طبعاً أوليس أخوك جزء من هذا الوطن؟ فانت بالحقيقة تقدمين خدمة كبيرة للوطن لأن زملائك وزميلاتك كما سمعتهم يخدمون الناس بشكل غير مباشر بالمساهمة في الزراعة وإعداد الطعام.. أما أنت فتعتنين بأخيك بشكل مباشر وبهذا تساهمين في خدمة وطنك بشكل مباشر). فرحت كثيراً ولكن الآن ليس مهما ما قاله لنا المعلم لكن ما أردت قوله لما لا تذهب أنت للمدرسة أيضا يا أبي وتحدث للتلاميذ عن ما عملته لخدمة وطنك؟"



كانت لؤلؤة تعيش في غرفة صغيرة.. زارتها أيام ذات مرة ودخلت غرفة لؤلؤة فوجدت حاجاتها مبعثرة قليلاً فقالت أيام "لم أشياؤك مبعثرة هكذا عزيزتي؟".

أجابتها لؤلؤة ببراءة مازحة: "أحبها هكذا متحركة ولا أحب أن تكون الأشياء ثابتة كاسدة وأحب اللعب والكتابة والمطالعة وهو ياتي طغت على وقتي!".

الغريب في الأمر أن كل الأطفال وحتى الكبار من أقرباء لؤلؤة اللاتي كن يزرن غرفتها أحبوا تلك الغرفة كثيراً ويقولون للؤلؤة بأن غرفتها جميلة جداً.

في أقصى الزاوية سرير عتيق لكنه أنيق ترفعه أربع أعمدة حديدية قصيرة يغطيها شرف ملون بمزيج من الألوان تعلقه وسادة خضراء اللون. وفي الزاوية الأخرى من الغرفة صندوق خشبي كانت تحفظ ملابسها فيه. في وسط الغرفة منضدة خشبية صغيرة مطلية باللون الأبيض. لكنها لم تكن تتناول الطعام على تلك المنضدة قط ولكنها كانت تضع عليها كتبها وأوراقها وأقلامها.

كلما كانت لؤلؤة تنظر إلى تلك الألوان كانت تلك الألوان تختصر لها فلسفة الحياة.

زارتها أيام مرة أخرى وبينما كن يتبادلن أطراف الحديث تحدثت أيام عن الشعر وسالت لؤلؤة إن كانت تحب الشعر.

قالت لؤلؤة: "أحببت كتابة الشعر بعد وفاة والدتي لأن الكتابة العادية لم تسعها دموعي أما الشعر فكان يسرع لنجدتي وأروع مقطع سمعته من شعر هو هذا المقطع من شعر محمود درويش (...عشيق عمري لأنني إذا متُ أخجل من دمعي أُمي...)" . ذكرها هذا المقطع بوفاء والدتها فكادت دمعتان تسيل على خديها لكنها أغلقت أهدابها بسرعة لتعود الدمعتان إلى منبعها ووجدت صعوبة في متابعة الحديث.

قال أمين ضاحكا: "يا ابنتي لقد عملت الكثير في السابق ولكني كبرت في السن ولا حاجة لأن أقدم أية نصائح أو أتحدث عن عملي الآن".

قالت ولاء مبتعدة عن أبيها الذي كان يحبها بجنون حتى لا يتعلق بها كثيراً: "لا يا ابنتي لا.. لا أريد أن تشعر بأنك قد كبرت بالسن فما زلت قادرا على الحديث. حتى لو لم يكن باستطاعتك العمل فباستطاعتك الحديث ويمكنك خدمة وطنك بذلك ثم تابعت بعصبية "إلا تتذكر يا أبي عندما تركت أُمي وهي مريضة وتركتنا جياعا وذهبت للمزرعة لتعمل لقد تركتنا جميعا في سبيل العمل".

قال أمين وقد غلبَ على نبرته أيضا شيء من العصبية: "يا ابنتي لو رجع بي العمر إلى الوراء وأصبحت شاباً ساذجاً للعمل أيضا ولكني كبرت الآن".

قالت ولاء بعصبية أكبر: "لكن الغريب في الأمر يا ابنتي أنك تركتنا وأهملتنا في ذلك الوقت وذهبت للعمل أو ليس عائلتك أهم من العمل؟"

قال الأب: الوطن غالي يا ابنتي.. الوطن غالي.. صمت لبرهة وتابع قائلاً: "ولو كنت لا اعمل وتركتكم في ذلك الوقت لما استطعت الآن الالتحاق بالمدرسة في وطنك".

الأبيض والأخضر

كانت لؤلؤة طفلة مشاكسة قليلاً تحب اللعب في الهواء الطلق مع رفيقاتها في المدرسة. كما كانت تحب الطبيعة كثيراً من أنهار وأزهار وأعشاب وجبال، وتحب الموسيقى الطبيعية، أصوات البلابل وخرير الماء وأصوات الشلالات. وتحب الألوان كثيراً وخاصة اللون الأبيض واللون الأخضر.. مضت السنين وكبرت لؤلؤة. لكن صداقتها مع "أيام" بقيت وثيقة. وكانت كلما تذهب إلى السوق مع "أيام" لشراء بعض الملابس أو الأثاث لغرفتها تختار اللون الأبيض والأخضر....

لي إعجابك باللون الأبيض والأخضر من زاوية واحدة وقلتي بأنك تنظرين إليهما من زاويتين فما هي وجهة نظرك من الزاوية الأخرى؟

قالت لؤلؤة: "بصراحة كنت انظر إليهما من قبل من هذه الزاوية فقط لكن بعد وفاة والدتي اتضح لي الزاوية الثانية من الرؤيا وهي إن اللون الأبيض يلبسه الإنسان بعد الموت للكفن واللون الأخضر يلبسه الإنسان في الجنة... وأنا نفسي اكتشفت بعد وفاة والدتي سر تعلقي باللون الأبيض والأخضر أو بالأحرى سر تعلق اللون الأبيض والأخضر بي! .. قالت أيام: "ما هذا التفسير المتشائم والغريب!"

قالت لؤلؤة: "يا عزيزتي هذا ليس تشاؤماً ولكن هذا هو الواقع. أنا متفائلة والحمد لله لكنني في نفس الوقت واقعية واحسب لأخرتي أكثر مما احسب لديناري لأن الدنيا فانية أما الآخرة فهي خالدة. واعمل الخير في الدنيا قدر المستطاع لأن العمل الصالح أيضاً خالد حيث تنتفع منه الأجيال المتعاقبة ولذا أؤمن أيضاً بان طول العمر مفيد أيضاً للإنسان لأنه يعطي للإنسان فرصة لأن يعمل أعمالاً صالحة عديدة تنتفع منها الأجيال وتبقى تلك الأعمال الصالحة خالدة وصدقة جارية حتى بعد الموت."

ضربت أيام بكفها الناعم على كتف لؤلؤة ضربة سريعة مازحة وقالت: "أنت تحبين الفلسفة دائماً يا فيلسوفة! لا تحاولي إقناعي بان أحب اللون الأبيض والأخضر أيضاً لأنني لن اقتنع وأنا أحب اللون الوردى والأزرق!"

قالت لؤلؤة: "أنا لا اقنع أحدا أبداً عزيزتي فقط أبدي آرائي واحترم رأيك أيضاً فاللون الوردى جميل جداً وهو لون الورد والأزهار الجميلة واللون الأزرق هو لون السماء والماء."

قالت أيام "يا فيلسوفة!! ضحكنا معاً واستمر الحديث بينهما إلى أن سمعا صوت "الله اكبر الله اكبر...." فقامتا لأداء صلاة الفجر.

دهوك- 10 آب 2008

استطاعت أيام أن تلمح تغيير ملامح لؤلؤة واحمرار عينيها ولمعة الدمع فيه فقالت أيام "أسفة إن كنت ذكرت بوالدتك رحمها الله". وأسرت أيام بتغيير الحديث قائلة: "لؤلؤتي حلوتي أرى اغلب أشياءك باللون الأبيض والأخضر.. يبدو أنهما اللون المفضل لديك!" بلغت لؤلؤة بصعوبة بالغة عبراتها ليكون باستطاعتها متابعة الحديث ورسمت ابتسامة مصطنعة وتابعت قائلة "لا عليك أبداً". وقالت بسرعة كبيرة امتزجت من خلالها حروف الكلمات متلعثمة وقاتتها دفعة واحدة وكأنها كلمة واحدة "نعم في الحقيقة أنا أحب جميع الألوان لأنها تعكس فلسفة الحياة". ثم استعادت اتزانها وصوتها وقالت بصوت واضح: "ولكن بالأخص أحب اللون الأبيض والأخضر لأنني انظر إليهما من زاويتين فمن زاوية يعكس اللون الأبيض من وجهة نظري الصدق والنقاء والصفاء والبراءة والسلام. و يعكس الأخضر الحياة والحركة والنشاط والأمل والتفاؤل". ساد الجو لحظة صمت.. انتظرت أيام لأن تكمل لؤلؤة حديثها ولكن لؤلؤة لم تكمل كعادتها لأنها كانت تحب الاختصار في الكلام. فسالتها أيام "لقد وضحت

